المسرح المصري

في خدمة العقيدة الوطنية

للاستاذ على متولى صلاح

كتب الأستاذ زكى طليمات فى العدد الفائت من « الرسالة » فصلا عقده على الموازنة بين نظريتين من النظريات التى توضح أهداف الأدب والفن وما ينبغى أن يتجها إليها ، وموقف المسرح المصرى الآن من هاتين النظريتين والأحداث تغمر البلاد ، والنفوس تغلى بالثورة والغضبة الكبرى؛ إذ المسرح — كما لا يخفى — جماع الأدب والفن معا

أما النظرية الأولى فهى أن يكون الأدب والفن « لمجرد الأدب والفن ، إشراقات تصقل الذوق وتصقل الروح وتنمى حاسة إدراك الجمال . وسبحات فى آفاق المعانى والخيال الشهى ولمحات ترقى بالنفس إلى أعلى مدارك النور . » كما يقول الأستاذ

وأما النظرية الثانية فهى أن الأدب والفن لابد أن يكون كل منهما « أولا وأخيراً لمعالجة ما يشغل أذهان الناس تبعا لمشكلات حياتهم ، ولتناول ما يعنيهم فى كفاحهم مع العناصر التى تحيط بهم ؛ ابتغاء تيسير أسباب الحياة الاجتماعية فى ناحيتها الإيجابية ومعاونة الشعوب على التقدم والارتقاء . »

أى أن الأستاذ وازن بين النظريتين المعروفتين من نظريات الأدب وهما : — نظرية « الفن للفن » التى ظهرت فى القرن الماضى ، والنظرية « الوجودية » التى ظهرت خلال هذا القرن بل خلال أيامنا هذه ، والتى أخذت براعمها تتفتح هذه الأيام وأخذت فكرتها تنتشر هنا وهناك وتلقى القبول عند الكثير من الناس فى مختلف البلاد ويوشك المستقبل أن يكون لها دون سواها من نظريات الأدب الأخرى

ثم خلص الأستاذ بعد ذلك إلى ترجيح النظرية الثانية ولكن فى فترات من حياة الشعوب يكون لزاما فيها على الأدب والفن أن يكونا « خالصين متوفرين لخدمة المجتمع فى أهم ما يشغله سواء كان هذا الشاغل عرضا إلى زوال ، أو مبدأ قد يغير من جوهره على مر الأيام »

وكان هذا منه تمهيدا للمسرحية التى يقدمها للناس فى هذه الأيام باسم « دنشواى الحمراء » والتى يقدمها كما يقول « صفحة من جانب المسرح المصرى فى وجه الاستعمار »

أما المقارنة والموازنة التى أقامها الأستاذ بين هاتين النظريتين فعندى أنه لم يبق محل لها وقد ماتت نهائيا نظرية « الفن للفن » وأصبح هذا الفن الخالص — كما قلنا فى كلمة سابقة — مرادفا للفن الفارغ ! وأصبحت هذه الأبراج العاجية التى يقولون عنها بمثابة رفوف أو دواليب أو متاحف أو معارض للزينة والفرجة ! وليس من الأدب فى شئ مالا يعالج قضايا الحياة التى يحياها

تعبت لكننى ما زلت فى تعبى
أشكو إلى الله لا أشكو إلى أحد

لقد اختار الشاعر اسم (الهزلة العربية) عنوانا لأناشيده ، وهو اسم عنيف ، مبالغ فيه ، ومن الانصاف أن نذكر أن عددا لا يستهان به من أخواننا العراقيين ، والأردنيين ، والمصريين ، والسوريين ، قد لاقوا حتفهم فى فلسطين .. أما فشلهم فى التغلب على الخصم فله أسباب عديدة لا مجال لبحثها فى هذا المقال

(الهزلة العربية) اسم مشتق من (الهزلة الإلهية) لدانتى ، فالشاعر الإيطالى يسخر من أناس خطاة يتقلبون بين طبقات الجحيم . وشاعرنا يحمل على أناس أكثر من خطاة وجلهم فى نعيم الدنيا مقيم

(الهزلة العربية) وثيقة اتهام شعرية ، ورسالة أدانة عاطفية ، طبعت فى بغداد ، وضمت إلى (مكتبة القضية الفلسطينية) فى دمشق ، ونرجو مع الشاعر إلا تضم إلى المكتبة الاندلسية

مجالى صدقى

الناس ، لا فى فترة من الفترات كما يقول الأستاذ بل فى جميع الفترات على السواء ، ولا فى العظيم الجليل من أمور الحياة بل فى الصغير الضئيل من أمورها ، فليس الأدب وليس الفن حلية وزينة وزخرفا ورواقش تأخذ بالأبصار وتبهر العيون ، ثم تخبو فلا أثرلها ، وتذهب فلا صدى وراءها اللهم إلا نشوة ساعة !

هذه دولة قامت للأدب يوما ثم دالت ولا نحسبها تعود يوما ، فالأدب الآن أشد الأشياء التصاقا بالحياة ، والأدباء الآن مثلنا تماما يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، بل إن من أهم واجباتهم أن يمشوا فى هذه الأسواق !

فلننظر ماذا كان عليه موقف المسرح المصرى — والمسرح كما قلنا قبل هو جماع الأدب والفن — وهل استطاع حقا أن ينهض « بتغذية الوعى القومى ومساندة عقيدة النضال بتذكير الناس بما يجب أن يذكروه وبتبصيرهم بما يجب أن يكون ماثلا فى أذهانهم » ؟؟

لقد اختارت فرقة المسرح المصرى الحديث من أجل هذه الأغراض الوطنية روايتى « مسمار جحا » التى افتتحت بها الفرقة موسمها بدار الأوبرا الملكية واستمر تمثيلها بها طول موسمها بهذه الدار ، ورواية « دنشواى الحمراء » التى تقوم هذه الفرقة بتمثيلها الآن على مسرح حديقة الأزبكية . فهل استطاعت هاتان الروايتان أن تحققا هذه الأغراض التى ينوه بذكرها مدير الفرقة ؟ أشهد أن الحق — وهو فوق كل اعتبار — يقتضينى أن أقول «لا» . فلو أريد بقضية « مسمار جحا » هو « قنال السويس » فى قضية وطننا كما يذهب إلى ذلك الأستاذ زكى طليمات فيما يكتب وفيما يقول ، . . لو أريد بها ذلك لكان إضعافا للقضية الوطنية وتهوينا من شأنها وتوهينا لقوتها وعدالتها ووضوح حجتها ! فالدار كانت ملكا حلالا لصاحبها فباعها بالثمن المقبوض وبالعقد الشرعى واشترط بقاء المسمار ليجعل منه ذريعة لغشيان الدار فى إلحاح وإثقال ، فهل كانت مصر ملكا حلالا للانجليز فباعونا إياها بالثمن المقبوض وبالعقد الشرعى واشترطوا بقاء قناة السويس ليجعلوا منها ذريعة لاحتلال مصر ؟ والغريب أن الأستاذ المؤلف لم يذهب هذا المذهب الذى ذهب إليه الأستاذ المخرج ولم يعقد هذا القياس بين القضيتين !

. . . أما مسرحية « دنشواى الحمراء » فالأمر فيها أدهى وأمر ، فما دنشواى — فى نظر الحق والصدق — إلا صفحة مخزية للخيانة الوطنية من كبار المصريين !! وهيهات أن يتجه الذهن عند ذكر دنشواى إلا إلى هذه الخيانات العظمى التى ارتكبها فريق من المصريين والتى كانت المبرر لما ارتكبه الإنجليز من فظائع وويلات اقترحها عليهم المصريون بل قضى بها المصريون قضاء له صورة الحق وإطار العدالة !!

على أن المسرحية امتدت إلى تصوير ما يجرى الآن من حوادث فى القنال على أنه « دنشواى الحديثة » فقصرت تقصيرا شديدا فى إبراز جوانب الوطنية المصرية المتأججة فى الصدور هذه الأيام ، وليس أدل على ذلك من إنها أغفلت أهم مظهر وطنى بل أهم حدث وطنى رائع جليل وأعنى به موقف العمال المصريين هناك !! هؤلاء العمال الذين كانوا أول مسمار فى نعش الإنجليز ؛ هؤلاء الذين طووا بطونهم على الجوع وتركوا موارد أرزاقهم وأبوا أن يكونوا مع الغاصبين والبلاد جميعها تنادى بنبذهم وطاردهم !!

وأغفلت كذلك موقف الجنود المصريين وقد انقلبوا بين عشية وضحاها إلى صفوف الشعب وفى كتائب الشعب يرمون أعداءه ويحمون أبناءه ، وقد كانوا من قبل سواعد الإنجليز فيما ينزلون بأبناء البلاد من عسف واضطهاد ..

وأغفلت كذلك موقف « الحكومة » وقد صارت إليها قيادة الثورة فى البلاد ! حتى أصبح الوزراء يقومون وهم فى دست الحكم بما لم يكونوا يقومون به إلا يوم يتزلون هذا الحكم ويمشون فى ركاب الشعب كالجبان الذى إذا ما خلا بأرض طلب الطعن وحده والنزالا !

إن هذه المسرحية لم تستطع أن تصور هذه الظواهر الجديدة الهامة ، ولا أفهم أن تذكر حوادث القنال دون أن تذكر هذه الأشياء

والذى يبدو ، أنها كتبت على عجل ، وأنه أريد لها أن تسبق إلى الظهور قبل أن تمتد إلى موضوعها يد أخرى ! وما يتثل هذا بكون الفن ، فالفن أناة ومهل وتأمل ، والفن ليس سباقا فى ميدان ينال فيه الفائز الأول الجائزة الكبرى !

على متولى صلاح